مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ القَدْرِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة القدر

أ. د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة القدر

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾

تناولت سورة القدر تحديد زمن ووقت نزول القرآن العظيم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعظيم منزلة هذا القرآن الكريم ورفعته وقدره، وكذلك أظهرت وبينت منزلة ليلة القدر التي أنزل الله تعالى فيها القرآن العظيم، كما تضمنت ترغيب وتحريض المؤمنين على إحيائها واغتنامها بالطاعة وكثرة العبادة لله تعالى. فإنها أفضل من ألف شهر، أي: ما يعادل ثلاث وثمانين ليلة وأكثر من ثلاثة أشهر. فقال الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إنا نحن الذين أنزلنا القرآن العظيم في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك. بما يفيد عظمة ومكانة ومنزلة هذا القرآن العظيم وكذلك اللية التي تميزت بنزول القرآن العظيم فيها.

وقال الله تعالى في سورة الدخان ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ التي هي خير من ألف شهر. وهو قول الأكثرين، كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: أنها ليلة القدر، وهو قول الأكثرين. وروى عكرمة عن ابن عباس، قال: أُنزل القرآن من عند الرحمن ليلة القدر جملة واحدة، فَوُضِعَ في السماء الدنيا، ثم أنزل منجماً. وقال مقاتل: نزل القرآن كله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا(١) لحظيت هذه الليلة بالمنزلة الرفيعة الكريمة بسبب نزول القرآن فيها، ليدل على شرف منزلة القرآن الذي تشرفت به تلك الليلة من بين ليالي السنة كلها، بما يفيد أن كل من اعتنى بالقرآن الكريم فقد حظي بشرفه.

ومن دقائق البيان أن ابتدأ كلام الله عَزَّ وجل بضمير المتكلم ﴿ إِنَّآ ﴾ الذي يفيد التعظيم والتبجيل، والقوة والعزة والتأكيد. ثم أكد ذلك أيضا بإسناد الضمير مرة أخرى في إنزال القرآن العظيم إليه سبحانه وتعالى ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ وذلك لبيان المزيد من التفخيم والتعظيم والإحلال والتكريم، والتأكيد بأن الإنزال منه سبحانه وتعالى، وأنه كتاب للناس من ربهم عَزَّ في علاه. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: وفي الإتيان بضمير القرآن

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٧/١١١-١١٢)

دون الاسم الظاهر إيماء إلى أنه حاضر في أذهان المسلمين، لشدة إقبالهم عليه[١] وقد عَيَّنَ سبحانه وتعالى بالتحديد والقصر أنه منزل في ليلة مخصوصة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فإنا أنزلنا هذا القرآن العظيم في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. فإنها ليلة مخصوصة بالحفاوة من البركة، وبما يفيد ويدل على عظيم منزلة القرآن، الذي تميزت به تلك الليلة بسببه، ليتبين بذلك منزلة ورفعة وبركة من أخذ بهذا القرآن العظيم، واعتنى به، كما يدل على بركة من أُنزِل عليه هذا القرآن، وهو النبي المخصوص بالإنزال لهذا الكتاب العظيم، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك يدل على شرف هذه الأمة المحمدية التي خصها الله تعالى بكتابه القرآن العظيم. وشرف ومنزلة من اعتنى بهذا القرآن العظيم، كما ورد في الحديث (إن لله أهلين من الناس، وإن أهل الفرآن أهل الله وخاصته)[٢]

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الليلة بأنها ﴿لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كما في سورة الدخان. فخصها سبحانه وتعالى بشرف بركة ومنزلة هذا القرآن العظيم، فإنها مباركة بنزول هذا القرآن العظيم. مما يدل على بركة هذا القرآن العظيم، وبركة من أخذ به، ومن اعتنى به، فقد أصبحت هذه الليلة من بين جميع الليالي بهذه الخصوصية من الشرف والبركة. فإنها ليلة كثيرة الخير والخصال والفضل والفضائل من الله تعالى، بل استمر الاحتفاء بها من الله تعالى إلى أن جعلها تتجدد وتتكرر في كل سنة من شهر رمضان. فزامن سبحانه وتعالى بين أفضل الكتب، وأفضل الكلام مع أفضل ليلة في الزمان، وعلى أفضل الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، وعلى أفضل لغة، وهي اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم. وبذلك قد أعطت الآية الكريمة العديد من الفوائد.

ثم يزداد التنويه بشرف هذه الليلة العظيمة المباركة، وذلك بإظهار عدم معرفة الإنسان بها قبل الإعلام عن عظمتها وجلالها، وما احتوت من الفضائل العظيمة. فيقول عَزَّ وجل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ فما يدريك أيها الْمُخَاطَب بعظمة هذه الليلة وما نزل فيها. وقد أورد الله تعالى هذا التعظيم بصيغة السؤال ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ لإفادة التفخيم والتعظيم مع عدم معرفة المخاطبين لعظمة تلك الليلة، وما كان فيها. ومن الفوائد البيانية ما قاله الفراء رحمه الله تعالى: كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أدراه. وما كان من قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فلم يدره[٣] فإنها ليلة لا يعلم الناس فضلها. وبهذا الأسلوب البياني الكريم أثار

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٥٣/١٢)

(٢) النسائي، السنن الكبرى، برقم (٨٠٣١) ابن ماجه، برقم (٢١٥) أحمد، برقم (١٣٥٤٢)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/٢٠)

الحق جَلَّ جلاله تشوق المخاطبين لمعرفة ما غاب عنهم من شأن ليلة القدر. إذ أن في ورودها بصيغة السؤال ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ ما يثير الذهن نحو متابعة ما أثار تشوفه وتشوقه. وهو من الأساليب التعليمية الراقية التي تشد ذهن المتعلم لمعرفة المعلومة الغائبة عنه.

وفي تسميتها بليلة القدر، ما يفيد العظمة والشرف والمنزلة والمكانة. فالقدْر: العظمة. من قولك: لفلان قَدْر. قاله الزهري، ويشهد له قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾[١] وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: وهي ليلة الْحُكم الذي يقضي الله فيها قضاء السنة[٢] من الأرزاق، والإحياء، والإماتة. ودلالتها تشمل المعنين معاً. فلا تضاد بينهما. وهذا من عظمة البيان وجزالته في استيفاء المراد بأقل الألفاظ.

ثم شرع تبارك وتعالى في بيان تفاصيلها. فقال عَزَّ وجل ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ فإنها ليلة عظيمة، فإنها خير من ألف شهر، ليس فيه ليلة القدر من الشهور المعروفة. ففضله وفضل العمل في تلك الليلة أفضل من ألف شهر، أي: يتجاوز ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر تقريباً. وقال الكثير من المفسرين: أي العمل فيها خير من ألف شهر وليس فيها ليلة القدر[٣] مما يبين عظمة القرآن العظيم الذي تميزت بسببه تلك الليلة، حتى حظيت بهذا الشرف وهذه المنزلة العظيمة. فالعمل فيها من العبادات ومن عموم الخير والصلاح أفضل من عمل يكون في ألف شهر. وهذا أيضاً من كرم الله تعالى على المؤمنين، إذ يمنحهم من الخير والأجر العظيم في أوقات مخصوصة أفضل من غيرها، ليزدادوا بها خيراً. مما يفيد أن من واجبات المؤمن الحرص على قيامها، حتى ولو قام العشر الأواخر من رمضان مقابل تحصيل هذا الأجر العظيم والجزيل.

ثم يزداد البيان في إظهار جلال تلك الليلة العظيمة، ترحيباً وتعظيماً واهتماماً وتقديساً لما نزل فيها. فقال تعالى ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾ فإن الملائكة الكرام ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ من السماء، ومعهم جبريل عليه السلام في تلك الليلة المباركة ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ ومن دقائق السياق أن أفرد سبحانه وتعالى جبريل الذي هو ﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ من بين عموم الملائكة، لمكانته، فإنه هو المكلف بحمل القرآن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فتنزل الملائكة فيها ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِم ﴾ أي: بأمر ربهم. بما يفيد كمال الطاعة والامتثال لله تعالى. ﴿ مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾ أي: من شأن كل أمر يقضيه الله تعالى. قال ابن قتيبة رحمه الله

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٨٣/٨)

(٢) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٤٢/٢٤)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/٢٠)

تعالى: بكل أمر. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: قال المفسرون: يتنزلون بكل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة إلى قابل[١] وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: أي: من أجل كل أمر من الأمور التي قضى الله تعالى بها في تلك السنة[٢] مما يفيد عظمة مهام الملائكة عليهم السلام. وأن الله تعالى قد جعل الأمور تسير وفق نظام وترتيب عظيم وحكيم.

ثم يختم الله تعالى سورة القدر ببيان ختام الوقت الزمني لهذه الليلة التي هي ليلة القدر، بأنه عند طلوع الفجر. لخصوصية ما فيها من الرحمات والبركات والسلامة، تبدأ من غروب الشمس لتلك الليلة، إلى طلوع فجرها. فقال عَزَّ وجل ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ فإن ليلة القدر هي ليلة مُتَّصِفة بالسلام والرحمات والأمن من كل شر. وأن منتهاها هو طلوع فجر ليلتها. وقد وردت الأحاديث النبوية الكثيرة: بأنها في العشر الأواخر من شهر رمضان. قال صلى الله عليه وسلم (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان)[٣] وقال صلى الله عليه وسلم عن فضلها (من يَقُمْ ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)[٤] اللهم بلغنا ليلة القدر ما أحييتنا، واجعلنا من الموفقين لقيامها إيماناً واحتساباً، والمسلمين أجمعين يا رب العالمين.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة القدر. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٨٧/٨)

(٢) الشوكاني، فتح القدير (٤٧٢/٥)

(٣) البخاري، صحيح الجامع، برقم (٢٠١٧)

(٤) البخاري، صحيح الجامع، برقم (٣٥) ومسلم، صحيح مسلم، برقم (٧٦٠)